

# Rain

A r m e e a



مطر ..

أغمضت أجناني كي ما أرى الحياة ، فرأيت  
الظلمة تختصرها .

أعلمي يا من جلبتُ لها في معطفي الحياة أني  
رجل من هياكل المعابد قد صيغت روحه  
بالتوء ، و التعرجات ، قد رسموا على  
جسدي طلائعهم ، من الزمن البعيد .

أبي ، كان ينزوي عند جلباب أمه ليغرق  
بقطرة وحيدة ، من عينها ، كان يدعي بأن  
الحياة مفردة عظيمة لا تستوحى من بوابة  
أخرى ، كان يرى أن الضوء مصدره الألم ،  
و الألم مصدره صرخة أمي .

أحياناً إصراري يزداد ، بعدي عن وجمعي  
يزداد ، قدرتي على الحياة تزداد ، فأمس  
أهدابي بأناملي ، حتى لا تسقط دمعة الأمل  
المفردة إلى الأرض .

المساء كما النهار ، النهار كما المساء شركاء  
في النور ، لكننا نبكي كثيراً عندما يتلبس  
أجسادنا الليل ، ربما لأنهم ينامون !!

اشتريت معطفاً جديد ، لم أخبركِ بأنه  
مصنوع من جلد بشري ، لأنني أعلم تماماً  
بأن التطور لم يصل بعد إليكِ ، لأنني أدرك  
يقيناً أنكِ لن تدركِ ، الفرق بين جلد الحيوان  
و البشر .

أظن بأنني لن أبحث عني ، أظن بأنني وجدتني  
، أظن بأن أبي فارق الحياة ، أظن بأن المطر لم  
يرسل الضجيج اليوم كما هي عادته كل  
شئاء ، أظن بأنك لن تكوني معي إلى الأبد ،  
أظن بأن الظن إثم ، إلا أنني أقترفه عادتاً ،  
لعلمي بأن الرب رحيم ، فهل أنت كهو ؟

الاستفهام كلمة لا تنطق ولا تكتب ، إنما  
تنجسد في تفاصيل وجوهنا ، كما التعجب ،  
و أحياناً ، كما الحب .

لا نعلم هل بدأنا به ، أم أنه بدأ بنا ؟

أوصيتك يوماً ، كما أوصيتني أمي ، كن قائداً  
لنفسك تفخر بجنودك .. لم يجتمع أحداً حولي  
إلا وغادرتني ، لم يكونوا يريدون أن يخلقوا  
المجد للجمع ، كان تفكيرهم مفرداً جداً .  
وهمهم الأنا ..

إن بحثتي عني فأنا هناك ، هناك ، في بحّة  
صوت المساكين ، و صوت العجائز ،  
ستجديني حتماً ، عندما تسمعين صوت تلك  
المرأة التي صرخت في شارع يكتظ بالجماد ،  
أنقذوني !! أعينوني !!

يا حبيبة قد سجتني تلك المرأة بمنجرتها .

أتكلم عن نفسي كثيراً ، كأني لا أرى أحداً  
سوى أنا ، ألعن أناهم ، و أنتقد الصمت ، و  
أنا صامت ، أرتكز على وهمي بأنني نجاهم و  
أحملهم عبئ أعمالهم .. حتى أنتِ لم أتكلم  
عني .. تكلمت عني !!

غريب جداً أن أحب الظلمة لهذا الحد .

مطر ، مطر ، مطر .. ياااه لفرحة الأطفال  
في مآتم المطر ، إنهم يلطمون الأرض بأقدامهم  
ينتصرون رافعين أكفهم للمطر ، كأنه النار و  
الحريق ، كأنهم يؤذنون ظالماً ، كأن صرير  
الريح في أذانهم ، صوت نشيد للحياة .

تري هل خلقتِ يا سيدتي من ضلعي الأعوج  
؟ فكنتِ المصير ، لرجل خلق من ضلع  
التاريخ أعوج . لم المترادفات متلازمة ؟

هامش للذكرى.. حين يبكي الورد ، تندب

الفراشات لذتها.

مازالت الأنا متوفرة هنا **بجده** !

و آخر للحياة .. هامش : أن تبكي من أجل  
رداء ممزق ، يعني أنك تخاف الصقيع .

هل نضب نبع الحرف ؟ عندما استلقيت عند  
ضفاف الهوامش ، أرددها كل مساء ، أم  
أنني لم أكن أرد أن يقرأني أحد أكثر .  
علمي بأني أجهلني ، يجعلني أبكي !

إخوتي ، كانوا طائعين جداً للحياة ، لم يسكن  
كنههم التمرد ، لم يعلموا يوماً بأنني كنتُ  
قائداً في ميدان آخر ، كانوا ينادوني دائماً ،  
كيف حال عالمك الخاص ؟ أنتَ تحيا وحدك  
يا (ساكن) .

أحمد ، كان يقول دائماً ( أنتَ ) نبي السراب  
كان صادقاً جداً ، كنتُ صامتاً جداً ، فلا  
أجيب صديقي بالرفض أو القبول .  
إلا أنني كنتُ أنظر في وجه جبران ، فأعلم  
أنني هو .

البحر ، ينحسر ، الصخور ، تتجاسر على  
ملبسها ، فتظهر ، الرمل يحاول أن يسعف  
المد بالاستجداء ليغطي الحقيقة .

ومضة أخرى ، آهة أخرى ، من جين  
السماء تخبر الأرواح الساكنة ، أن المطر  
يحتضر .

لا أحد سيعلم يوماً أنني كنتُ هو !

وصية .. لا تظنوا يوماً به سوء ، كان يريد  
أن يرى ذاته في مرآة أرواحكم ، كان يعلم  
بأن زجاج المرآة يتكسر ، في الختام كان  
يعلم أنه لن يبقى !!

لغة الماء تتآكل ، فرضية ذوبان الجليد تنصهر  
، الفعل وردة الفعل حضارة غائبة ، الألحان  
معدمة ، و عصافير الصبح ، خرساء .  
هكذا تغيرت الأشياء ، عندما رحلت !

كنتِ تقفزين مثل الأرانب ، تقتربين من  
تعرجات السلم المؤدي إلى البحر ، كنتِ  
أراكِ ، نعم كنتِ جميلة جداً ، كالنسيم ،  
حاضرة جداً كالطفولة ، حاضرة جداً كما  
الغياب .

إلى تلك الطفلة ، الشيخ ينهكه المرض ،  
العجوز يرفض أن يموت ، متعلقاً بآخر قشة  
من الحياة .. فلا بكاء .

لأنهم فراعنة الدهر ، و الحلم موسى !!

أصوات الأحياء ترسل الضجيج دائماً ،  
لروح المقبرة .

اجتمعي أيتها العناكب .. اسجني الحرف  
بخط من حريري .. لفي ثغري برداء الصمت  
الأبدي .. و احميني من كفرة قريش !

سماء همراء .. وأرصفة تداري خبيتها  
بالتعرجات .. وقمر وحيد يرى الدنيا و قد  
هرمت .. وبحر أبيض .. ينحسر إلى حيث  
الغياب .. و قطرة مطر لا تولد في ذات  
الخيط " عين أبي "

الشمعة : امرأة هالكة ، تلقي بثوبها عند أول  
لمحة ضوء .

أفلامنا العتيقة ، دفاترنا السمراء ، الورق  
الأصفر ، رائحة المطر على ثوبك ، أتعلمين ؟  
الألوان على وجهك ليست كثيرة أنتِ  
رمادية الملامح كعصر أفلام الجمال ، وعيني  
مازال قوس المطر يزينها بالضوء كلما  
أيقظتك صباحاً ببقايا تعب الليل وحزنه ..  
بقبلة !!

لو أننا استرسلنا في خدمة النهار ، لما  
(قصرت | عجزت) أكفنا على أن تصل .

أجمل شيء في الوجود أن تكون يدك مستلقية  
على صدرك ، كأنك تمسك بشعور ما تحميه  
من أن يستيقظ منتفضاً ، من حلم جميل  
كأنك تتحنن عليه بالبقاء فلا يؤذيك برحيله.

اشتد اشتد ،، أضرب أيها المطر هيكل الأنا

الروح !! محمية بالرمل محمية بالماء .

حبيبي الرابع عشر ، الذي كان يرتدي بزة  
كلاسيكية لم يكن يرى جيداً .  
أرسلتُ صديقتي لتقابلة بدلاً عني ، لأنني  
كنت أريد الإيقاع بالحبيب الخامس عشر .  
أجمل شيء ، أن يكون الرجال ( عميان ) ،  
حتى نبدل جلودنا كما نشاء دون أن  
يشاهدونا !

صلى على امتداد صحيفتنا الليل فاستطاع  
أن يجلب الظل .

يشاء فيرقص في حاجز بين رمشين لا تقفز  
إلى السماء لا تصل إلى الأرض فإن حدي  
الوحيد ؛ دائرة العين!! لا مجال أوسع لك  
حتى أراك، لا تتجه إلى اليسار ، لا تتجه إلى  
اليمن ، أبقى في دائرتي ، حتى لا أفارقك  
يوماً أو تفارقي.

أيها السائر ، فوق تضاريس القدر ، ألم تعلم  
يوماً ، بأنك .. كما الهواء حين توقفه  
الصخور ؟ أو كما الماء ، حين ، يدفنه الرمل  
؟ أو كما الحياة ، حين تعجن بالمسكنة ،  
فتلدغ الطفل الرابض تحت رداء أمه ، لتشل  
جزء ، كان يبتسم !!

العالم هباء منشور ، في الضوء الهارب من  
الثقب الصغير في باب خشبي هناك يكمن  
السر ، حيث أشياء تطير و أخرى تزحف لا  
نراها — وضوح إلا في الظلام .

أيها المتجرد ، الغاضب ، المهيب أيها القوي  
، الأمين ، و الناطق الفاعل المتحرك الساكن  
يا أنا ؛ ما تنعم الرقص ، في وجع الزيتون!!  
وما هدرت دماء ، من فرط استفاقتها لتعلم  
، لن يستطيع أحد أن يخترق زجاج عينيك  
فـ أصمت .

قد تظن يوماً بأنني أكرهك لقتلك إياي لكن  
صدقني ، إني أعشق كل ما فيك .. فأنت ،  
صولجان الملك في يدي ، أقطع الهواء  
بجراكنك ، فأمهد للبقاء ( فيك ) و أنثني  
ابتعد ، لأجاورك .

الصورة القابعة في إطار ، جامدة لا تتحرك ،  
و البوابة التي يشاء المرء فينا أن يدخلها كما  
هي الصورة ، جامدة لا تتحرك ، إن لم  
نلامس مقبضها .. إن أردنا الحراك ، فنحن  
بالأصل صور ، متتالية ، واحدة تستجلب  
الأخرى .

لستُ سوى بائع تبغ في زاوية من زقاق  
منسي ؛ أحشو الأوراق بالوهم ، لأنجب  
أطفالاً .. يمتلكون وهم " المدينة الفاضلة .

تمكنت الأماكن من أن تعناد على أن تُسقى  
من الليل حبراً أسوداً فانتزعت البراءة من  
حجرها ، و اقتصت من جسدها ، بريقاً ،  
لتوزع أشلائه على الغارقين بشهوة لحظ  
وتسمر الموت عندها ، فلم يأذن برحيل بل  
أبقاها تحت ظل الظل ترتشف الذنب شراباً ،  
فإنه المهد لليلة قادمة . تولد مع أول استفاقة  
، وتنصهر مع لمسة سحرية تؤرق نومها الآتي  
، بطلب الاستغفار .

كلما مررتُ في شارع أطل على نصفه  
الضوء ، سألت ذاتي : من غيب النصف  
الآخر منه ؟ فلم أجد إلى حفيف أشجاره  
تجاوز سمعي لتجيب .. عينك !

يستيقظ بائع التبغ على دخان و ينام على  
دخان لم يسافر أبداً !! في قلب امرأة لم يهدي  
قلبه إلى امرأة لم يتلظى بحب امرأة ، كانت  
لديه حكمه " أنا كنتك اللفافة أحرق ،  
لاستيقظ وقد بعثرتني شفاههم في الهواء " .

**لصوت الناي .. توقف ! إن ثعبانك يرقصُ**  
حول عنقي يلتف حول نحري ، يرسل  
ضحيجه في أسماعي يقصدُ خنقي !!

ما أنا إلا طفلة تشاهد ، معجزة رقص  
الأفاعي ! فلماذا اخترتني دون سواهم ؟ أيها  
**الموت !!**

حينما تتعانق أجفانك . وينطفئ الضوء  
بمقلتيك دع لي أنفاسك لتخبرني . بأنك ما  
برحت المكان .

ترفق بي ، يا أيها المطر ..

أرميا \*